خ. نرجس زيدان

غرفة مغلقة

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

غُرفَةٌ مغلَقَة

غُرفَةٌ مغلَقَة

نصوص

خ. نرجس زيدان

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

1437 هـ - 2016 م

ردمك 978-614-01-1798-3

جميع الحقوق محفوظة

توزيع

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص. ب: 13-5574 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

إهدَاء

إلَى أمّي التِي اختَصرت دَربَ أحلَامِي بـ دُعاء
وَ إلَى أبِي الذِي نَقَل إليّ عَدوَى الشغفِ بـ الكتَابَة
إلَى إخوَتِي ، أُختِي وَ الصَغِير مُحمّد ضِيَاءٌ ..
جَنائنُ وَردٍ ، أطوَاقُ يَاسمِينٍ
وَ فَيضٌ مِن الحُبّ .. لَا يَنتهِي !

خ. نرجس زيدان

وَلِلعَالمِ الإفترَاضِيّ أيضًا.. إهدَاءٌ!

إلَى الجَمِيلتَين: عَبِيرٌ وَ إيمَانٌ..

إلَى إيمَانٌ، لأنّها رَسمَت (إيمِيلي) مِن أجلِي

وَلأنّها تَذكّرَت عِيدَ مِيلَادِي،

إلَى أمِينٌ، لأنّه قَال لِي:

"أتمنَى لكِ مَا يَتمنَاهُ السيّد (كاربِنتر) لِـ (إيميلِي)"،

إلَى سَلِيمٌ، لأنّه يَذكُر سبَيستُوون فِي كُلّ مَرّة،

إلَى حَلِيمٌ، لأنّه قَال لِي:

"سَأبقَى هنَا إلَى أن تُكتَب الرِّوَايَة" وَ لأنّه لَا يُخلِفُ وَعدًا..

إليكُم.. أنَا لَا أنسَى التفَاصِيل الجَمِيلَة!

وَ إلَى كُلّ مُتابعِي صَفحتِي علَى الفيسبُوك "رِوايَةٌ لَم تُكتَب بَعد"..

شُكرًا لوجُودكم بالقُرب دائمًا!

لِذَاكِرٌ وسيَبستُوون،

شُكرًا لأنّكُمَا تُبقِيَانِنِي علَى قَيدِ النّقَاء!

تَنويهٌ

الفَوضَى هُنَا.. مُفتَعلةٌ!
نَوعٌ مِن الأمَانَةِ فِي نَقلِ أَغرَاض غُرفتِي
وَالزَجِّ بِهَا فِي هذِه الأورَاق..
نَوعٌ مِن البَوحِ الصّادِق،
مِن الشتَاتِ الفَاضِح،
وَالتنَاقُضِ الصّارِخ..
لَا تُشبهنِي الأشيَاءُ، ولكنّني أُشبِهُهَا!

خَدّرْ إدراكك، أغلقْ أبوَاب عَقلك وافتحْ نوافذَ القلبِ علَى مصراعيها..
فَقِراءتي لا تَتطلّب فِكرًا، بل حِسًّا!
فَكُنْ على قدرٍ من النّقاء لِتُبصرَ كلّ ألوانِ اللوحَة التِي أحاولُ رَسمها!

فَليتوقّفِ العَالمُ عَن الضَحكِ للحظةٍ،
وَليُشَاركْنِي تَشييعَ قَلبِي.. فحسب
أمَا البُكَاءُ
فَسأبكِيه وَحدِي!

أَوّلُ النَّبْضِ

موسِمُ الفَرَحِ قَصِيرٌ جِدًّا، أمَّا مَوَاسِم الحُزنِ.. فَلَا تَنتَهِي!

ذَاتٌ

(1)

ثمّة غُرفَةٌ سِريّةٌ..
بَابُها حَدِيديٌّ مُوصَدٌ
أَضَعتُ مِفتَاحَه..

لا نَوَافِذَ تَتوسّطُ جُدرَانَها
عَدا تلكَ الخدُوشِ التِي أَحدَثتُها
ذَاتَ مُحاوِلَةٍ لِصُنعِ مَخرَجٍ ما
فَكَانت النتِيجَةُ ثقُوبًا
لَا تَتّسعُ حتَى لأشعَّة الشَمس

ثمّة ظلَامٌ يَبتَلعُ الغُرفَة
وَلَا شمُوعَ فِي خِزانتِي
وَعُودُ الثِقاب الوَحِيد المُتبقّي لديّ
أَحرَقَ إطارَ صُورَةٍ قَدِيمة

أَتحسّسُ الجُدرَانَ كُلّ لَيلَةٍ
وَأَجُولُ بَينهَا بِخُطوَاتٍ رَاقِصَةٍ

وَأُغَنِّي:
"لَا تُبالِي فَسَتُشفَى الجِراح
وَظلَامُ اللّيلِ لَن يَطُول.."(*)

(*) المَصدر: مَقطعٌ مِن أغنِية فِيلم الأنمِي (الأمَل)، دَبلجَة مَركَز الزُّهرَة.

(**2**)

رَأيتُكِ وأنتِ تَسقُطِين
وَخَمّنتُ أنّ ارتِطَامكِ بالأرض
سَيكُونُ مُدَوِّيًا
تَأمّلتُكِ علَى مَهلٍ
تُصارعِين سقُوطًا
يُعرَضُ بِالتصوِيرِ البَطِيء
لَم أَركُضْ نَحوكِ..
وَلَم أُحاوِل إمسَاكَ يَدكِ
فَقط..
اكتَفيتُ بِالتفرّج علَى سقُوطكِ..
خَشِيتُ.. إن أَنَا سَاعدتُكِ
أن تَسحبِيني مَعكِ
إلَى الهَاوِيّة..

(نَظرةٌ خَاطِفَةٌ إلَى الهَاوِيَة)

علَى وَشكِ بلُوغِ السمَاء
مَا زلتِ تَسقُطِين
وَتتسَاقطِينَ خَرِيفًا..
وَلَيس لِسقُوطكِ
دَوِيٌّ ارتِطَامٍ!

(3)

قَبِيحَةٌ إلّا قَلِيلًا،
ثَمّة وَجعٌ يَختَبِئُ فِي قَلبِي
لَا أعرِفُ سَببَه،
لكنّني أشعُر بِه

خِنجرٌ يَستقرّ فِي صَدرِي
لَا يُزحزِحُه الدُّعَاء

القلُوبُ التِي تُصرُّ علَى رُؤيَة الجمَال الكَامن فِينا
تَجعَلُ الثّقبَ الأسوَد فِي قلُوبنَا يَتّسع
تُحمِّلنَا مِن بَيَاضهَا مَا لَا طَاقَة لنَا به
وَتُجبرنَا علَى الوقُوف أمَام ذوَاتنَا
فَلَا نُبصِرُ غَير قُبحنَا!
لَا أخَاف أن يَكرَهنِي الآخرُون.. أَخَافُ حُبَّهم!

(4)

أيّتُهَا التقلِيديّة!
مَا هكذَا يَكُون الحُزنُ..
مَا عَادَتِ الدّمُوع تُجدِي،
وَمَا عَاد البُكَاءُ يُرِيحُ القلبَ
كُونِي عَصرِيّةً ومَارِسِي حُزنَكِ بِرُقَيٍّ..
نَامِي!

أيّتُها السيّئةُ جِدًّا،
القَبيحَةُ جدًّا،
المُظلِمةُ جدًّا..
لَا أحدَ يهتمّ بالجزء الجمِيل منكِ،
لَا أحد يَكتَرث للنقطة البيضَاء التِي تتوَسّطُ سوَادكِ
وَلَا أحد يُبصرُ شُعلَة النُور التِي تُضيء ظلَامكِ..
إنّهُ زَمنُ المظَاهرِ والأقنِعَة..
حاولِي اختيَارَ القِناعِ الأنسَب!

(5)

يَائِسَةٌ حدَّ الاكتئاب
أشعرُ أنّ مخزون الأملِ لديّ قد نَفد
وأنّ حُلمِي البريء وُئِدَ لكي لَا يكشفَ عارَ الحقيقة
أشعر أنّ كلَّ مَن أسكنتُهم قلبِي
أخذُوا جزءًا منه ورحلُوا بعيدًا
تَاركين صدرِي خَاويًا.. إلّا من فرَاغٍ يَملؤه
أشعر أنّ أولئكَ الذِين كنتُ معهم وحَولَهم
تَركوني وحِيدةً أعدُّ أحزانِي
وَأردُّ للسعَادةِ مَا سَرقته من لحظاتِ فرحٍ ذاتَ زيفٍ
أشعرُ أنّ تمثَالَ الثّقةِ ينهارُ أمامِي
وَأنّ سمَاءَ الحُبّ الواسعةَ التِي احتوتني يومًا
تضيقُ أمام خيبتِي وتغرقُ فِي دوّامةِ الأكاذيب
فقط.. أشعرُ بالضَّيَاع!

(6)

يُمكنني الآن الاعتراف بِأنّني كَاذِبَةٌ..
لا أذكُر عَددَ الكذبَاتِ التِي قُلتُها حتى الآن..
لَكنّني أعلَمُ أنّ كُلّ كذبَةٍ تَقُودُني إلَى كذبةٍ أكبَر..
وَلَا أحمِلُ هَمّ قَولِ الصّدقِ
إذَا ضمنتُ أنّ كذبتي لَن تُكشَف..

لَا أَكذبُ لأنَّني أُرِيدُ ذلكَ..
وَلكنْ لأنَّ الكَذبَ أحيَانًا يَجعلُنَا نتفَادَى مُشكلةً مَا
أو صَدمةً مَا بِأقلّ الخسَائرِ المُمكنة..

أكذبُ..
لأنّ قَولَ الصّدقِ يَتطلّبُ شجَاعةً كبِيرَةً، وأنَا جبَانةٌ..
وَلِكي لَا أرَى ملَامحَ الخَيبَةِ فِي عيُونِ الذِين أُحبُّهم!

(7)

الذِينَ وَضعُونِي علَى الهَامِش،
وَالذِين وَضعتُهم علَى الرّف..
أسقَطتُهم وَاحدًا بَعدَ الآخر

يُعجبنِي الفرَاغُ الذِي يَترُكونه خَلفهم
وَأَجِدُنِي مُمتَلئَةً بِه حَدَّ الاكتفَاء

أن تَكُونَ فَارِغًا
أفضَل بكثيرٍ من أن تَمتلِئَ بِمَن لَا يُناسبُك
وَلَا تُناسبُه
كَحُجرَاتٍ تَعجُّ بِالأَثَاثِ الفَاخِر
وَلكن لَا أروَاحَ تَحيَا بِداخلِهَا

(8)

الأيَادي التي نَنتظرُ أن تَمتدَّ إلينا لِتُساعدنَا فَلَا تمتدّ،
تَتركُ أماكنَ شاغرَة
تَملؤها أيادٍ أُخرَى
مَا كُنّا نَتوقّعُ يومًا أن تَنتشلنا مِن ضيَاعِنا..

وَالأَكُفُّ التِي تَخجَلُ مِن حَملِ بُكائِنا،
تَتركُ لِدمُوعنا حُريّةَ الانسكابِ
فِي أكُفٍّ أُخرَى أعمَقَ رَحمَةً..

أمّا الأكتافُ التي تَصغرُ كُلّما كَبر همُّنَا
فَتكبرُ مكَانها أكتَافٌ أُخرى،
ظننّا سوءًا أنّهَا لَا تَكبر!

(9)

لَا أُعاتبُ يَدًا أَفلَتَتنِي أثنَاءَ السقُوط
بَل أُعاتبُ يَدِي التِي امتَدَّت إليهَا
وَبَقِيَت مُعلّقةً فِي السمَاء

الآخرُون لَا يتَربّصُون بِقلُوبنَا لِيَدُسُّوا فِيها خذلَانهم
نَحنُ مَن نُقدّمُ لَهم كؤُوسنا طَوعًا
لِيَملؤُوها خَيبَةً..

لَا أَلُوم مَن يَزرعُ قلبِي وَجعًا
بَل أَلُومُ قَلبِي الذِي أشرَعَ بَابه علَى مِصراعَيه
لِقلُوبٍ لَا تعرِفُ الوَفاء!

(10)

أن تَمدَّ لهم يَدكَ وتَشدَّ على قبضتهم بِقوّة
أن تَطمئنَّ لِأرواحهم
وَتثقَ بِقلُوبهم
أن تَفتحَ لهم ذراعيكَ علَى امتدَادهما
لِتحتضنَ بِدفءٍ هزَائمهم وخيبَاتهم
فَيَصدمَكَ منظرُ الخناجِرِ التي يَحملُونها فِي أيديهم
وَهم يُحاولُون غرزَها فِي جسَدك
يَطعنونَ ظهركَ بغدرٍ
وَيُصيبُ الأقربُ إليكَ منهم نَبضَكَ الذِي حملهُ أمدًا

الوجعُ ذاتُه..
أن تَعجزَ عَن تصدِيق ذلكَ
وَتحَاولَ جَمعَ الصّورة التِي حَطَّموها!

(11)

الأرقَامُ الكَبِيرَةُ تُربكنِي،
وَأمِيلُ أكثَر إلَى القلَّة
مثل كُوبَين مِن القَهوَة
قِطعتَين مِن الشُوكُولَا،
وَصدِيقٍ واحد!
فِي كُلّ مَرّةٍ أُسقِطُ رَقمًا
وَبَينَ الرّقمِ والرّقم
يَسقُط صَدِيقٌ،
لَا أُحمِّل نَفسِي عنَاء الانحنَاء لالتقاطه مُجدّدًا
وَلَا يُحمِّل هوَ نَفسَه عنَاء الارتفَاع..
أو حَتى المُحاولَة!

(12)

العُزلَةُ لَيست أمرًا سيّئًا فِي كلّ الأحوال
أَجِدُنِي بحاجة لمساحة مِن الوحدَة
بَعِيدًا عَن صخبِ العَالمِ
عَن وُجُوهٍ مُقنّعةٍ
وَقلُوبٍ تَتّشحُ ألوانَ النفَاق

كلَّمَا رَكنتُ إلَيَّ
تَأمّلتُنِي..
حَدّثتُنِي..
وَتُهتُ عمِيقًا فِي دَاخِلِي
اِتّسعتْ مِساحةُ الوحدَة
وَالتَفّت حَولها أسوارٌ مِن اللّامُبالاة بكل مَا يَحدُث خارِجَ مِساحتِي
وَازددتُ يَقِينًا بأن العُزلَة أَكثَر أَمانًا!

(13)

دُخانُ الغمُوضِ خانقٌ..
يُقيمُ حولي هالةً من ضباب..
تَحمِيني من الخارج
وتمنع المُتطفِّلين من الدخول إلى عالمي
والعَبثِ بِبياضه
يَرصُّ أمام قلبِي فراغًا أستَوطِنه ويستوطِنني
ككوخٍ عتيقٍ..
كعُلبةٍ كريستاليةٍ
تتدَاعى زُجاجًا منثورًا عندَ أوّل صدمةٍ
كأبوابٍ مُوصدَةٍ..
تُبقي الآخرين بعِيدًا عنّي
وَتحبسنِي في الدَاخل

ذلكَ الدُخانُ يَخنقني..
وأجدُني بحاجةٍ مُستميتَة إلى الصُّراخ..
لولا أنّ الصوتَ يخونُني..
يَلجمُني الصمتُ وما كَان يومًا بِحكمةٍ،
فَفي صمتِي عجزٌ وضعفٌ وكثيرٌ من البُكاء الأخرس
الذِي لا يسمعُه أحدٌ ولَا يفهمُهُ سوَاي!

(14)

أنَا اليَوم..
هَادِئَةٌ جِدًّا،
صَامِتَةٌ جِدًّا،
لَا مَرئِيّةٌ جِدًّا..

مَا مَعنى ألّا تَكُون مَرئِيًّا؟
أن تَذُوبَ دَاخِلكَ دُون أن يَلحَظَ أحدٌ ذلكَ
أن تَتبخَّر..
وَتختَفِيَ تدريجًا
حَيثُ لَا وَجهَ لَك،
لَا ظِلَّ يَتبَعُك
وَلَا أَحدَ يَعرفُكَ..

(15)

يَجهلُنِي كَثيرون
وَأجهَلُ كلَّ المُصطَفِّين خَارجَ عَالمِي
يَنتَظرُون تَذكرَةً تُمكِّنهم مِن الدخُول
أجهَلُ كُلَّ العَابرِين
الذِين يَمُرُّون بِي دُون إلقاء التحيّة

أجهَلُ الغُربَاء
وَلَا يُغرِينِي الاقترابُ منهم
فِكرَةُ التعرّي مِن كبريائِي أمَامَ غرِيبٍ
مُقرِفةٌ.. وإنْ بَدَت مُرِيحَةً،

العَالمُ أصغَرُ مِن أن تَبُوح بأسرارِكَ لِغريبٍ
فَلا يَعُودُ إليكَ بِملامحِ "قَرِيب"!

(16)

كُلُّ شَيءٍ خَارِجَ عَالِمِي
لَا يُغرِيني للخُروج
النُّورُ الذِي يَطرقُ نوَافذَ غُرفتِي
ما استطاع يَومًا اختراَق ظلَامِها
ذلكَ العَالمُ الكَبِيرُ جدًّا
الوَاسِعُ جِدًّا..
المُمتدُّ إلَى ما لا نهَاية
يَضِيقُ فِي عَينَيَّ
وَيَكبَرُ فِيهما عَالِمِي الخاصّ
رُكنِي الآمِن..

كُلُّ الأشياءِ مِن حَولِي لا تَعنِينِي
يَعنِينِي ما يَستقرّ في داخِلِي!

(17)

الجَانبُ المُظلمُ الذِي أحرِصُ عَلى إظهارِه أمامَ العالم،
يَعفِيني من تَبرِير أخطائي فِي كُلّ مَرّة،
وَيَعفِي قلُوبَهم مِن تحمّل صَدمةٍ ما..

لَا أخافُ شيئًا
بقَدَرِ خَوفِي مِن أن أَرَانِي أَصغر
فِي عيُونٍ لطالما رَأتنِي كَبِيرَةً..
لَيسَ ذَنبِي أنّ آمَالَهم صَيّرَتني فُقاعةً تَطالُ السماء ارتفاعًا
وَلَيس ذَنبهم أنّني (دُونَ قصدٍ) أَثقبُ تلكَ الفُقاعَة بدَبّوسِ
الإهمال!

(18)

النّوافِذُ التِي نَترُكها مُشرَعة
كُلّما أغلَقنا أبوابَ قلُوبنا
بَعد كلّ خَيبَةٍ..
هِيَ منافذ الأَمل،
دَعوَةٌ صَامِتَةٌ لِخيُوطِ الشَّمس
لِتكسِر ظلَامَ أروَاحنا
هِيَ إيمَانُنا بِأنّ فِي الخَارِج شَيئًا أجمَل
هِيَ ثِقَتُنَا بِقلُوبٍ طاهِرَةٍ
نَعلمُ بِوجُودها
رَغم أنّنا لَم نَعرِفهَا بَعد
هِيَ يَقِينُنا الدَفِين
بِأنّ مَا يَنتظرُنَا أجمَل بِكثِيرٍ ممّا حَصَلنا عَليه
كَدُعاءٍ صَادقٍ نَرفَعُه إلى السماء
نَعلَمُ يَقِينًا بِأنّه طَرَق أبوَابها
حتّى وإن تَأخّرَ مَطرُ الاستجابَة!

(19)

لَا أُطِيل المكُوثَ فِي حياة الآخرِين
أُحبّ العلَاقات طوِيلة الأمد
غَيرَ أنّني لَم أَحظَ بِها يومًا
يَسرقُنِي الغيابُ دَائمًا..
أو يَسرِقُ منّي مَن أحبَبت
زَمنُ علَاقاتِي أقصَر بِكثير من زَمن مشَاعري
وَدَائمًا مَا تَنتهِي الأُولَى
قَبلَ أن تَمُوتَ فِي صَدري الثّانيّة!

كُلّما وَدّعنا أحدًا
يَصِير من السهلِ عَلينا التخلّي عَن الآخرين
وَتقبّل عَدم وجُودهم فِي حياتنا
وَعَدم وجُودنا فِي حياتهم
بِوسعنَا أن نَعتَاد غِيابَهم
تمَامًا كمَا اعتَدنا حضُورهم..

جُلتُ أَزِقّة الغِياب كلِّها
لكنّني لَم أتعلّم بَعدُ طَرِيقة نُطق حرُوف (الوَداع)

الرّاحِلُون لا يُلَوِّحُون!

(20)

أَضِيعُ فِي الفراغ..
تَأسِرنِي الأشيَاءُ غيرُ المَوجُودة
الكلمات التِي لا تُقال
النظراتُ التِي نَسترقها فِي غَفلةٍ مِن الآخر
المَشاعر التِي تَحيا فِي دَاخلنا
وَتمُوت قَبل أن نُدركها،
الصَفعَاتُ التِي يُفكّر بَعضهم فِي طَبعِها علَى وجُوهنا
لَكنّ شجَاعتَهم تَخُونهم
الابتسامات الخَجلى التي لَا يُبصِرها غَيرنا
الأكُفّ التِي تُصافحنا دُون أن تُصافحنا حقًّا
وَالأيادِي التِي تَصفَعُنا دُون أن تَترُكَ أثرَ الصّفعَة
يَأسرنِي كلُّ مَا هوَ مَوجُودٌ
وَلَا نُدركُ وجُودَه!

(21)

مَن يُخبرُ صنَادِيق الذَّاكرَة
بِأنّهم لَن يَعُودُوا
مَن يُقنعُ صُوَرهم بِالاحترَاق
مَن يَمسحُ غُبارَ الذكريات عَن قلُوبنا
مَن يَصنَعُ لنا تمَاثِيل أُخرى
لَا تُشبههم..
مَن يُخرِسُ الجُدران البَاكِيّة حَولنا
مَن يَأتِي لَنا بِأعيَادٍ
لا تُذكِّرُنا بِهم
وَأماكِن لَا تَحتفظُ بِعطُورهم
مَن يَطردُ أطيافهم عَن مُخيّلاتنا
وَيَجمعُ تفاصِيلهم..
مَن يَمتَصّ مِن صدُورنا
حُبًّا أَنهَكَ نَبضنا
وَمَن يَشتَري جُزءَ الذَاكِرَة المُتعلّق بهم!

(22)

أُرِيدُ عَقلًا لَا يُفكّر
حِين أطلُب منه عَدم فعل ذلكَ
ذَاكِرَةً لَا تحتفظُ بِوجُوه العَابرِين والغائِبين
أَحادِيثَ لَا يُزيّنها النفاق
وَحقائق لَا يُجمّلها الكَذب

ثَمّة مسافةٌ تَفصل بَين ما هوَ صَادقٌ حقًّا
وَما نُرِيدُ تَصدِيقه..
وَأجِدُنِي دائمًا تائهةً فِي تلكَ المسافة!

(23)

أنا أَكثرُ صَخبًا ممّا أبدُو عَليه
أَشدّ جنُونًا
وَأعمَق حُزنًا
في داخِلِي عالمٌ يَجهَلُه الآخرُون
وَلَا يَعرفه سِواي

أَقِيسُ عُمقَ الفَجوَةِ بَينِي وبَين العَالم،
اعترَافَاتٌ لَن أُصَرِّحَ بِها
أسرَارٌ لَن أَفُكَّ أقفَالَها
وَأُحجيَاتٌ لَن أَحُلّها
يُغرِينِي أن أثَرثِرَ طَوِيلًا
مَعَ صَدِيقٍ
دُون أن أَقُولَ شَيئًا..
أن أَبدُوَ مُنغَلِقَةً علَى ذَاتِي
وَفِي دَاخِلِي مَجَرَّةٌ بِحالها

تَتّسعُ الفَجوَةُ
كُلّما صَافحتُ عَابِرًا
تَبتَلِعُ كلّ المُتطفّلِين
وَكلّ الذِين يُحاولُون العَبثَ بِكَونِي
أنَا لَستُ غَامِضَةً.. أنَا مُظلِمَة!

(24)

الأشياء التِي نَنتظرها بِشغفٍ
نُرتّب قلُوبنا لأجْلِها
نُفسحُ لها الأماكِن فِي حياتنا
وَنُلقي بكُلِّ مَا نَظنّ أنّه أقلّ أهميّة منها..
لا تَأتِي..
الأشياء التِي نُرِيدها بِشدّة
تَأتِينا حِين نَكُفّ عَن انتظارها!

(25)

كَاذِبُون..
أولئكَ الذِين قَالُوا إنّ الفِراق يَقتل الأرواح
وَيَخنق الحياة في دَاخلها..
أولئكَ الذِين قَالُوا إنّ النّسيانَ مُحالٌ
وإنّ روحًا عَانقتْ أُخرَى
من المستحِيلِ أنْ تعيِشَ إنْ فارَقَتها
أو إنْ فَكَّتْ عِنَاقها..

الفِراقُ لَا يعنِي النهاية
وَالرّحِيلُ لَم يَكن يومًا خسارة

الفِرَاقُ حياةٌ تبتدئ بِانتهاء أُخرى
ثمّة دائمًا (حياةٌ)..
إمّا تركناها من أَجلِ مَا ظننّاه أكثر أهميّة منها،
وَإمّا حياةٌ تنتظرنا وتنتظرُ أن نخطو نحوها
بينما نحنُ منشغلون عنها
بالبحثِ في أوراقِ الماضي
عنْ آلامنا وعثراتنا!

(26)

لَيس هناك ما يُسمَّى خسارة مُطلَقة
كُلّما خَسرنا شيئًا..
كسبنا شيئًا آخر
حتَّى تلكَ الخسَارات العظِيمة
التي تَكسرنا
وَتَحبسنا فِي زنزَانة اليَأس
تُخبِّئُ مكَاسِب أُخرى
قَد لَا نُدركُها حِينها

حِينَ نَخسرُ كُلّ شَيء
نَصِيرُ أقوَى وأَشدّ صلابَة..
ذلكَ أنّه لَا يعُود لدِينا مَا نخَافُ فُقدَانه!

(27)

الأَشخَاصُ الذِين يدّعُون أنّهم أشدّ صلابةً مِنّا
الذِين يُوهمونَنا بِأنّهم يفُوقُوننا وَعيًا
وَيَتجَاوَزُوننا حِكمَةً..
كَانُوا بِالأمسِ مثلنا تمامًا
تَهزّهم رِيَاحُ الغَدرِ،
تُبَعثِرُهم عوَاصِفُ الخِيانة،
وَيَكسرهم رَحِيلُ مَن يُحبُّون..
هُم فَقط سَبقُونا إلى التجربَة
وَشَرِبُوا كؤُوسَ الخَيبَة قَبلَنا.. حدّ الثمالة
فَتشَكّل حَولَ قلُوبهم جِدارٌ عَازِلٌ
يَمنَعُ عَوَاطفَهم مِن الخرُوج!

(28)

لَيس هناك مَا يُجبرنا علَى الابتسام
حِين نَكُون علَى وَشك البُكاء
أو ما يُجبِرُنا على ارتِداءِ ألوان الفَرح
بَينما قلُوبنا تَرتدِي ألوَان الحِداد
الأقنِعَةُ التِي نَضَعُها علَى وجُوهنا
تَخدَعُ مَن حَولنا مَرّةً..
وَتَخدَعُنا مَرّتَين..

المَرَايا التي نُقابِلُها كُلّ يومٍ
تَكشِفُ زَيفَنا
وَتُسقِطُ عَن وجُوهنا أقنِعتها
لِنَرَى أنفُسنا علَى حقِيقتها
فَنُصدَمُ بِملَامحَ لَا نَعرِفُها
المرَايَا لَا تَكذِب
وَتلكَ البشَاعةُ التِي نُبصِرُها مِن خلَالها
هِيَ ذوَاتُنا..
تلكَ الدمُوع الشفافَة.. دمُوعنا
وَذلكَ الجَاثِمُ فَوق صدُورنا

هوَ حُزنُنا الذِي نُحاوِلُ إخفاءَه
ادّعَاءنَا الدّائِمُ بِأنّنا علَى مَا يُرام..
أَكبَرُ دَلِيلٍ علَى أنّنا لَسنا بِخيرٍ!

(29)

يَصعب عَلينا تصدِيق أنّنا لطَالما كُنّا شيئًا احتياطيًا،
طَوقَ نجَاة أو بابًا لِلطوارئ..
طريقًا مُختصرًا لِبلُوغ هَدفٍ ما،
سَطْرًا علَى الهَامِش،
صِفْرًا علَى الشِّمال..
عُلبةً موضوعةً علَى الرَّف الأخِير..

أن تَكُون الفَائِضَ مِن كُلّ شَيءٍ..
الفَائِض مِن العَالم
أصعَبَ بِكَثِير!

(30)

عَنْ أيّ أملٍ تبحثُ ها هُنا؟
بل عن أيٍّ وهمٍ تُفتِّشُ بينَ ضلوعِي..؟
خاوِيةٌ أنا
وَصدرِي خاوٍ،
إلّا مِن أَلَمٍ..
جرِيحةُ الكِبرِيَاءِ أنا
مبتُورةُ القلبِ،
فقيرةُ المَشَاعِرِ.. والأمل،
فارحلْ،
حيثُ الجمال الذِي تَنشُدُه..
وَحيثُ الحماقاتِ التّي تفتعلُها
وَيفتَعلونَها،
قلبِي، سِردَابٌ ضَياعٍ
مُحكَمُ الإغلاقِ،
أسوَارهُ صلبَةٌ..
أبوابهُ مُوصَدةٌ..
نَوَافِذهُ مِنْ حَدِيدٍ،
غُرَفُهُ مُظلمةٌ..

وَحيثُ العتمَة أحيا أنا.. شبهَ ميّتَةٍ
سَرِيرٌ مُهتَرِئٌ،
أغطيَةٌ بالِيةٌ..
وَوِسَادةٌ مُثقلَةٌ بِالوَجَعِ –
وَأنَا، عِنْد زَاويةِ الغرفَةِ،
أَضْحَكُ..
وَتتعَالَى قهقَهاتِي،
الجُنُونُ يسكُنُنِي –
وَأنَا أسكُنُ الضَياعَ..
فَمَا الذِي يُبقِيك هُنَا؟
نَبَضاتِي مُبعثَرَةٌ،
وَنَقَائي مُلطّخٌ بِدماءِ روحٍ..
شفّافةٍ؛
فَلَا تبْحَثْ،
بينَ أورَاقِ ألمِي،
عَنْ أمل
وَلَا تُحاوِلْ
أنْ تُحيِي فِي داخِلِي
بَقَايَا الحُلُم؛

أنَا لَا أكتَرثُ إلّا لِأمرِي،
أشعُرُنِي،
أَسكُنُنِي،
شرَايِينُ الشوقِ قَطعتُها..
خَفقَاتُ الحنينِ،
خَنقَتُها..
نَبَضاتُ القَلبِ،
أسكَتُّها..
وَأُنثَى الأمل فِي داخِلِي –
أعدَمتُها!

(31)

قَلمٌ، دفترٌ.. ومرايَا
وَنافذةٌ شبهُ مغلقةٍ..
كَمْ أخشى،
أن أكتبني حرفًا يفضحني؛
أو أدوّنني فصلًا،
تبدأ به قصّتي..
أو تنتهي.. وأنتهي،
يملؤنِي الوجعُ حدّ اللّاوعي..
وتخوننني سحابَاتُ الفرحِ،
يُمطرُنِي الحزنُ ألمًا،
وَيُغرقني..

يتيمةُ الأمل أنا،
خاويةُ القلبِ
وَقدْ بلغَ الضياعُ منّي أقصاهُ..
بقَايا أحلامِي مُتناثرةٌ هُناكَ،
عَلى بُعدِ خطوةٍ من الخيبةِ..
وَتلكَ الطفلَةُ التِي تدُورُ حولها،

تُشبُهُ تفاصيلي،
تَرمُقنِي بشيءٍ من العتَاب،

تُرانِي ممتلئة بالوجعِ،
أم أنّ النبضَ في داخِلِي اختلف!

(32)

خَلفَ ذلكَ الَوجهِ البَاسمِ،
بَحرٌ من الدّموعِ..
وَبِمُحاذَاةِ ذلكَ الصّدرِ الواسِع،
قلبٌ جَريحٌ
يَضِيقُ بِما فِيهِ مِن ألَمٍ؛
خَلْفَ أسوارِ البَسْمَةِ
تَختَبِئُ عُيونٌ حَزِينَةٌ.. دامِعَةٌ،
تَأبَى الظُهورَ..
وَتُكابِرُ؛
هُنَاكَ..
لَا فَرَح،
لَا أَمَل،
لَا حَيَاة،
مِساحاتُ الَألمِ تَمْتَدُّ
مِنْ ظِلِّ بَسْمَةٍ مُصطَنَعة
إلَى حيثُ... اللَّانِهَايَة؛
هُنَاكَ..
نَبْضٌ تَائِهٌ،

وَخَفَقَاتٌ مَشوبَةٌ بِشيءٍ مِنَ.. الوَجَعِ؛
وَعِندَ كُلِّ مُفتَرَقٍ لِلحُزنْ..
تتَصادَمُ عَلَاماتُ الاستِفْهَامِ،
مُخَلّفَةً فَوضَى مِنْ أَسئِلَةٍ
لَا أجوِبَةَ لَها..
هُنا..
يَتَعالى الَأنِينُ
وَتَتَكَسَّرُ عَلى صُخورِ الواقِعِ،
أمواجُ أحلامٍ شَارِدَةٍ
عَازِفَةً لَحْنَ الخَيْبَةِ
مُتَشَبِّثَةً.. بِبَقايا أَملٍ/ أَلَمٍ؛
هُنا..
تَقْبَعُ أرواحٌ يَائِسَةٌ،
تَغْرَقُ فِي الدّموعِ
وَتُغْرِقُ كلَّ حُلُمٍ يَلُوحُ فِي الُأفُقِ..
لِتَبْقَى مَأسورَةً
خَلْفَ أجسادٍ فارغة،

(33)

تَائهةٌ أنا،
بينَ الواقع والواقع –
أفتّشُ بينَ صفحاتِ عمرِي
التي خُطّتْ بِالسوادْ
عَنْ سَطرٍ،
تَرتَسمُ بينَ حُروفه
تَقاسيمُ وَطَنٍ؛

أجُولُ في شوارع مظلمة
مُزدحمة بِوجوهٍ غريبة تتأمّلني،
عُيُونٌ حَزينة
وَشِفاهُ تتَهامسُ –
يَتعَالَى الهمسُ ضَجِيجًا..
يُلَاحقُنِي،
أهربُ منهُ رَاكضةً
أتعثّرُ بِعباراتٍ قاسية،
سُوءُ ظَنٍّ،
وَنَظراتُ حقدٍ –

أواصلُ الركضَ
وَلَا ألتفتُ إلَى الوراء،
أمضِي بِخُطَى مُتثاقلة
أبحثُ عنْ بَصيصِ نُورٍ
يَشعُّ مِن بعيدٍ،
أو عنْ أشعّةِ شمسٍ
تَكسرُ حاجزَ الظلمَة
وَتستقرُّ فِي صدرِي
لِتكتبَ عليهِ حُروفَ الانتماء!

(34)

أَنتَمِي لِلإنسَانِيّة،
لِلرّضِيعِ الذِي أَحرَقهُ العَالمُ..
لِلطِفلِ الذِي أَغرَقتهُ الأنظِمَةُ السِّيَاسِيّة..
لِلمَرأةِ التِي تَمُوتُ كُلّمَا استُشهِدَ ابنٌ أو أَخٌ أو زَوجٌ..
قَبل أَن تَنَال هِيَ الأخرَى شَرفَ الشهَادَة -أخِيرًا- وَتَرتَاح..
أنتَمِي لِلذِينَ لَم يَسمعُوا بَعد عَن مُنظّمَة حقُوق الإنسَان،
وَالذِين لَا يُدرِكُون وُجُود منظمَة تَحمِي حقُوق الطِّفل..
لِلّوَاتِي لَا يَعلَمنَ بأنّ العَالَمَ يَحتَفِلُ بعِيد المَرأة كُلّ سَنةٍ
وَاللّوَاتِي لَن يَستَفِدنَ مِن قَانُون مَنع ضَرب المَرأة..
لِلذِينَ كَان سَقفُ أحلَامهم رَغِيفَ خُبزٍ وَأَمَان..
وَالذِين لَا يَعلمُون بأنّهم يَحلُمُونَ بمَا هوَ مِن حَقّهم، وَمَا يُخلَقُ الإنسَانُ مُكَرّمًا بِه..
أنتمِي للذِينَ قَضوا نَحبَهم لأنّهم لَم يَقِفُوا فِي صَفِّ أَحدٍ!

(35)

يَحدث أن نعِيش..
لَيس رغبَةً فِي الحياة
بَل لأنّ قطار المَوت لَم يَصِل إلى مَحطّتنا بعد
يحدث أن نبقَى مُعلّقين علَى قَيد الحياة
دُون أن نحيا حَقًّا..
وَأن نُواصِل عَيش تفاصِيل حياتنا
كَرُوتِين مُملّ
لا ينتهِي..
وَيحدث أن تمُوت كلّ مشاعرنا تجاه شخصٍ ما
دُون أن ننفيه خَارج حدُود حياتنا

يَحدث أن نَحلم بِأشياءٍ لا تُشبه واقعنا
وَبِوجوهٍ لَا تَمسّها بشَاعةُ الوجُوه مِن حَولنا
يَحدث أن نَعتاد الألم حَدّ إدمانه
وَأن تُجافينا السعادةُ أمدًا
فَلَا نعرف طَرِيقنا إليها..

يَحدث أن يُغادرنا الحُزن
وَتتأخّر ترانِيمُ الفَرَح
وَيَحدث أن نَتحوّل إلى أجسادٍ خاوِيَةٍ
تَعِيشُ لأنَّها لَمَ تَمُت بَعد!

(36)

تتسلّلُ أشعةُ الشمس إلى غرفتي
عبر نافذةٍ شبهِ مُغلقة..
كنتُ قد هممتُ بإغلاقها ذاتَ ليلة
كأنني أغلقُ كتابَ حياتي المليء بالأحزان..
بنفس القسوةِ والصَّخب والغَضَب!
كأنني كنتُ أمزّقُ آخرَ فصل من فصول أحلامي
لِأستسلم بعدها لِأحزانٍ احتوتني..

خيوط الشمس الذهبيّة أطلّتْ بخجلٍ شديد
كأنّها تطلبُ منّي إذنًا بالدخول!
أو ربما رفقًا بِبَعضِي وبِقلبٍ كبّلتُه وأَغلقتُ أبوابه بعد خيبة أملٍ أخرى

في تلكَ الليلة
أغلقتُها بِقُوّة وذهبتُ لِأنزوي إلى سريرٍ مثقل بِجراحي ووسادة اختنقَت من تأوّهاتي!
لكنها اليوم تبدو مشرّعة قليلًا

تسمح لأشعَّة الشمسِ بالدخول
رغم حرصي على الابتِعاد عنها (قدر المستطاع)

مَا الذي فتح النافذة من جديد؟
شعاع أملٍ أطلّ مِن خلفها يحمل أفراحًا وهميّةً أخرى؟
أم أنني (ببساطةٍ) لم أغلقها جيدًا؟
أو ربما تكون يد القدر (رغم كلّ شَيء)!

تلكَ الخيوطُ الذهبية..
هل تحمل لي أملًا كاذبًا؟
أم ميعاد فرحةٍ جديدة؟
أيجدرُ بي الثقة بذلك الأمل مجدَّدًا
ليخذلني كما فعل مرّات عديدة؟
أم أتجاهل الأمر وكأنه لم يحدث؟
مغامرة جديدة (ربّما)
أم تحدٍّ بيني وبين نفسي؟

الشمسُ – إذن – تستفزني بحضورها،
وتلك النافذةُ التي لم تُغلق – مطلقًا – كانت محض خُدعة!

القدرُ يحرّكني كيفما يشاء مرّة أخرى..
ولكن هذه المرة عبر اختياراتي..

يبدو الأمر مُحيّرًا رغم بَساطته!

(37)

حِينَ نُخطئ،
وَنرتكبُ الخطايَا فِي صمتٍ..
نحاولُ تبرير حماقاتنا واختلاق الأعذار لَأنفسنا قبل الآخرين
لنواصل أكثر في فعلها،
وَلِنمارسهَا دونَ ضميرٍ يوقظنا فِي لحظةِ اللذة –
وَنُقنعُ أنفسنا بأنّ الأمر (عاديٌّ)
وَأنّ تلكَ الفعلة (بريئةٌ) ولو ظهرتْ عكس ذلك!
نحاولُ إقناعَ عقولنا التي فرضتْ علينا بعض القيود
بأنّنا لم نخرق القواعد بعد
ولم نتعدَّ الحدود بعد.. ولم نخطئ بعد!
ولَا ندري أنّ محاولاتنا ما هِي إلّا ذريعةٌ للتمادي أكثر في جريمتنا
(البريئة)!

وَحِينَ نستيقظ من سباتنَا – مهما طال -
ندركُ حجمَ ما فعلناه سهوًا..
وَنَعِي حجمَ خطايانا التي ارتكبناها في غفلةٍ من الضمير..
حينهَا.. نعاتب أنفسنا تارةً، ونلومُ ضعفنا تارةً أخرى..
نتساءلُ.. كيفَ؟ لِمَ؟ لماذا؟

وَتعلو تساؤلاتُنا..
دونَ صدى أجوبةٍ يرتدّ!

وَحِينَ نعي ذنبنا
وَندركُ أنّ أيّ سببٍ – مهما كان وجيهاً – هو سبب تافهٌ أمام فعلتنا –.
تتآكل قلوبنا ندمًا،
وَيتسلل اليأسُ إلى دواخلنا
فالتوبةُ تكون – حينها – بعيدةً في نظرنا..
وَحسرتنا لن تغيّر الواقع ولن تمحو خطايانا..
وَمهما فعلنا..
فستبقى تلك الفعلة محفورةً في أعماقنا، وستظلّ وصمةَ عارٍ في ماضينا
وَسَيُرافقنا الندم ما حيينا..
ليقتصّ منّا، ويسلبنا الحياة ببطء!

وَحينَ نسلكُ طريق التوبة..
يتجدّد الأمل في صدورنا
وَنُدرِكُ أنّ الله رحيمٌ.. سيغفرُ لنا خطايانا،

لكن..

تبقى قلوبنا تُعاتبنا،

ذنبٌ لَا نغفرهُ لأنفسنا.. ولو غفره الآخرون لنا!

(38)

نَاشدتُكِ ألّا تستسلمي للحُزن،
ألّا تَمُدّي يَديكِ لِتحتضني الظلام،
ألّا تَقتُلي خيُوط الشمسِ وألّا تَخُوني قوس المَطر..

يَتيمةٌ أنتِ، كَبسمةٍ ارتَسمتْ بغير فَرحٍ..
مَبتُورةُ الحظّ وقد طَبع الزّمنُ تجاعيده علَى وجهكِ الطّفولي..

أفلتِي سكّين الخُبث من يدكِ النَاعمة
وَلَا تطعني القلبَ بِزيفٍ آخر
رَجوتُكِ ذَات صدمَةٍ،
لَا تسمحِي بأن يَنتحر النقَاءُ في داخلكِ.. فَتقتُليني!

(39)

أتحسّس آثارَ الطَّعنات في قلبِي
آملةً أن أجد جراحي قد اندَملت
وَلكنّني أتفاجأ باتّساعها أكثر..
النسيَان لَم يكن يومًا مهارةً أُتقنها
كُنتُ قويّةً أمام كلّ شيءٍ إلّا الذاكرة..
لطَالما استدرجتني لأعيش الألم نفسه والوَجع نفسه
كأنّها تُذكّرني بِخيباتي
لِكي لا أقع ضحيّة خيبةٍ أخرى..
لكنّها عبثًا تحاول..
فَمَن اعتاد ارتكاب حُسن الظّن
لَن يَعتقه سُوؤه ولَو لمرة!

(40)

الحَالمون يَهربـون إلى النّـوم حيـثُ يعيشُـون أحلامهـم ويُلامسـون طُهرها بعيدًا عن نجاسة الواقع..

الجَائعُون للحنان يَهربُون إلى الأكل مُحـاولين مـلءَ فـراغ أرواحهـم بأيّ شيءٍ هُروبًا من القسوَة..

الرّجـال يَهربُـون إلى التَـدخين فَيُشـعلون آلامهـم سـجائر يَنفثـون دُخانها في السمَاء، مُعتقدين بأنّهم بِذلك يَجعلـون أحـزانهم تَتبخّـر.. فَيختنقون بِها أكثر..

المُكابرون يَهربون إلى القَهوة، يُغـازلون السـمراء بكبريـاء مُصـطنعٍ يَشي بِانكسارهم، يَشربون المُرّ اختيَارًا آملين أن يَكُونـوا بـذلك قـد دَفعوا ضَريبة الحُزن ليَعتقهم الوَاقع..

أمّا أمثالي.. فَقيري اللغَة، الذِين تلجمهم الدَهشةُ بعد كـلّ صَـدمةٍ، فَيهربُون إلى الكتابة..

جَميعُ الأنقيَاء هَاربون من الواقع، أمّا الذين لا يهربـون منـه.. فَهُـم أولئك المُتسبّبون في بشاعته!

(41)

عَلَيكَ أَن تَكُونَ وَطَنِيًّا بِمَا يَكفِي، لتَتجَاهَلَ كُلَّ مَا يَحدُث فِي السَّاحَة العَرَبِيّة اليَوم..

قَوِيًّا بِمَا يَكفِي، لتُطفِئَ التِلفَاز كُلّمَا ظَهَرت عَلَى شَاشَته كلِمَة "عَاجِل"..

وَاعِيًا بِمَا يَكفِي، لتَصمّ آذَانكَ عَن سمَاع آرائهم المُتضاربَة وَ مُحاوَلَةِ اكتِشَاف مَن يَتآمر ضِدّ مَن..

مُؤمنًا بِمَا يَكفِي لِتَدعُوَ الله فِي خُشُوعٍ أن يَنتهِيَ الأَمرُ كُلّه.. ثُمّ تَنَام!

(42)

المزهريّة تَبكِي لَيلًا
احتضَانها لِوَردٍ يَتّمَتهُ أنَانيّةُ البَشَر
اللّوحَاتُ تَبكِي جُدرانًا لَا تَعرِفُها
عَتبَةُ البَاب تَبكي خُطى الراحلِين
الذِين غَادروها بِلَا عَودة
الخاتمُ المَنسِيُّ فِي دُرج المَكتَب
يَبكِي يَدًا تَجَرّدَت منه
دُميَةُ "بَاربِي" المُختَبِئةُ فِي الخِزانَة
تَبكي فَتَاةً وَعدتهَا بِاللّعب مَعها فِي الغَد
فَكَبرت لَيلَتَها.. ولَم يَأتِ الغَد
تلكَ الصوَر القدِيمة تَبكي أياديَ حَملتهَا ذَات ذِكرى
وَمَا عَادَت تَذكُرها اليَومَ بِلَمسةٍ..
المَرَايا تَبكِي وجُوهًا
ما عادت تَعرِفُها
كُلّ الأشياء مِن حَولِي تَبكي
وَأنا صَامِتَةٌ..
لَا بُكاءَ يُواسِي البُكاء!

وَأَشتَهِي ثُقبًا فِي الذَّاكِرَة،
لَعلّ بَعضَ وَجَعِي يَتَسَرَّب!

شُبهَاتٌ

(1)

لَا أصلحُ لأحاديث الغرام
وَلَا لِمُحادثات ما بعد مُنتصف الليل
لَا أُجِيدُ المواعدة تحت المطر
ولا العبث بنار الحنِين الحارقة
لا أجرؤ علَى ارتكاب الحُبّ
في زمن العلاقات العاطفيّة
و أحرص على ألّا أَحمِل عار التَجربة الفاشلة
لِذا أكتفي بِمنحكَ ثقتي
دُون السماح لِقلبي بالتّورّط
في جريمة عشقٍ
أحاولُ أن أتّقي الشُبهات
وَأَقِي قلبي طعنةً..
قد تُشَوّه ملامح الحُبّ فيه!

(2)

رُبع أملٍ، رُبعُ نبضٍ.. ونصفُ حلمٍ
فِي ردهات الألم
ألفُ طعنَة، ألف جرحٍ..
وَكَمٌّ هَائلٌ من الوَجع
خلفَ قنَاع البسمات
وجهٌ قبيحٌ.. دَميمٌ
يسرقُ من البشاعة زيفًا أكبر
جَسدٌ يَخلو من رُوحه
عيُونٌ فقدَت بريقها
وَشفاه أخرسَتها الحقيقَة
بأيّ الملامح سَتُقابلنِي اليوم؟
وَأيّ غَدرٍ يَختبئُ بين أضلعكَ
وَبأيّ الأكُفّ ستصفعنِي!

(3)

لَو علمتُ أنّ السعَادة لحظَاتٌ هاربةٌ
يَسرقُ منّا الركضُ خلفهَا
لَذّةَ عيشهَا
وَأنّ اليقِين قَد يتحوّل إلى شكٍّ
وَأنّ "الأبد" عندَ الرّجال
لَا يتعدّى ليلةَ حُبّ واحدة
وَأنّ الجمِيع يرحلُون..
لَا عندمَا يكون الرّحِيلُ ضرُوريًا
بل عندمَا لَا يجدُون سببًا كَافيًا للبقاء
لَمَا تعلّقتُ بكَ حدّ التورّط
وَلَمَا أحببتُكَ يومًا، وصَدَقتُكَ وَعدًا
وَلَرحلتُ عنكَ قبلَ أن يخبُو وهجُ الحُبّ فِي قلبكَ
وَقبلَ أن تشبّ نارُه فِي قلبِي فتحرقه
لَو علمتُ كلّ ذلكَ
لَخُنتُ الذَاكرة
وَتواطأتُ مع النسيَان
وَلجَنّبتُ قلبِي طَعنةً أخرى!

(4)

علَى مقعدِ الحَنِين
عندَ ضاحية الغِيَاب
أقلّبُ صَفحَات عُمرِي
أَحتَمِي بالصّمتِ
وَأكَابرُ..
هُوَ يجلسُ مُقابلًا لِحُزني
يَبتَسمُ، يَضحكُ
وَيتعَالَى صوتُه طربًا
وَيحي..
سَخِر الحُبّ منّي!

(5)

حِينَ سلّمتكَ مفَاتِيح قلبي
وحَلّقتُ فِي سمائكَ حُبًّا
وَزَرعتُكَ بِداخِلِي وردًا
ونثرتكَ عطرًا
لَم أكُن سَاذجةً حِينها،
كُنتُ بَرِيئةً حدّ النّقاء
وَحِين حَلمتُ بكَ وَاقعًا
وَأعلنتكَ وَطنًا،
وَاختبأتُ فِي قلبكَ أمنًا
لَم أكنْ غَبيّةً حينها
بل وَثقتُ بكَ حدّ الأمان
وَحِين قاسمتُكَ وعدًا
وانتظرتكَ عُمرًا
وَدَعَوتُ الله فجرًا أن تَعُود
لَم أكن حَالِمَةً حينها،
بل كُنتُ صَادقةً حدّ الوفاء!

(6)

ريشةٌ، لوحةٌ وقلم رصاص
ضبطتكَ..
تلوّن بالسواد أحلامي
وَبالرمَاديّ تَصبغ قَلبي
وتُعلّقني على لوحةِ حُبّ مشبوهة
مُقيّدةٍ بِإطار غدرٍ
ضبطتك،
تجرّدني منّي،
تمحو تفاصيلي
تعبث بملامحي
كَقطع السكر كنتُ
في فنجان قهوَتكَ المرّة
كَحروفٍ شاردةٍ
تنظمهَا قَصِيدة وَجعٍ
كبتلاتٍ سوسنيّة
تَقتلعها..
كَفراشةٍ رَبِيعيّةٍ
تَقُصّ جناحيها

كَحالمةٍ ظَنّتكَ قيسًا
فَارتديتَ كلّ الأثواب،
وَوضعتَ كلّ الأقنعةِ
إلّا الوَفاء..
ما استطعتَ أن تلبسه،
وما استطاع أن يلبسكَ!

النّرجِسُ لَا تَكسِرهُ العَواصِفُ،
وَلَكنّهُ يَذبُلُ إذَا مَا خَانَهُ المَطَر!

صَفعاتٌ..

أسقطي ذلك القناع عَن وجهها
وأرغميها على النظر فِي المرآة
دَعِيها تتأمّل قُبحها
وتلعن بشاعتها
دعيها تبصق قهرًا في وجه مرآتها
اصفعيها بقوّة
لِتذرف الدّمع مدرارًا
وكبّلي يديها جيّدًا
لِكي لَا تُغطّي بِكفّيها ضعفَها
علّقِيها هُناك..
عارية مِن كلّ شيءٍ إلّا خطاياها!

(1)

أؤمنُ بالحبّ، لكنّني لَا أؤمِنُ بِقلُوبِ الرّجال!

(2)

كلِمَاتُكَ الأخِيرَة،
خُطَّت بِالدّمعِ على قَلبِي
وَمَا كان لِحِرُوفِ الغَزلِ الكَاذبةِ أن تَمحوها!

(3)

صَفعَةُ الخِيَانَةِ تلكَ، مَطبُوعَةٌ علَى وَجهِي!
وَلَن أنسَى..

(4)

ملجأي الآمنُ صار مُظلِمًا
وَبَرِيقُ الأملِ فِي عينيَّ بَهت
مَلَامِحِي يُغطّيها العبُوس
وَالبَسمةُ علَى ثغرِي تَيتّمت
لَن أعُود
وَلَن أحتَضن حُلمًا هاربًا

(5)

أَلعَنُ حَظِّي مئة مَرّة
وَألعَنُ زيفكَ آلاف المرّات
انطَفأتَ وأطفأتَ الحُلم البَريء
وَصفعتنِي كلِمَاتُكَ:

(6)

لَن أركَع عِند شُرفَةِ الحَنِينِ أُناجِي طيفَكَ،
لَن أطرُقَ بَابَ الغِيَابِ بِيَدٍ مُرتَجِفَة،
لَن أصرُخَ بكَ ولكَ كُلّما بَكيتُ،
لَن أنسَى يومًا رَكضَ فِيه دَمعِي هَاربًا إليكَ
فَتجمّدَ بِبرودِ قلبِكَ..
وَتلكَ الصّفعَاتُ التِي أهدَيتَنِي إيّاها،
سَأجمَعُهَا، وأرُدّهَا إليكَ بِقسوَةٍ مُضاعفة

(7)

على مشجَب الحياة
عَلّقتُ أحلامِي
وَمَضيتُ
هَبّت رِيَاحُ الوَاقعِ
اقتَلعتْ بَابَ التَمنّي
وَسَرَقت فَرحَته
فَانسَحبَت أحلامِي بِصمتِ السَراب

(8)

ذلكَ الذنبُ الذِي تُحاوِلُ الهُرُوبَ منه
سَيُرافِقكَ مَا حَييت..
وَتلكَ الوَصمَة التِي تُحاوِلُ محوَها
سَتبقَى كالنّقشِ فِي قلبكَ..
وَالفِعلَةُ التِي تُحَاولُ إخفاءَها
سَتبُوحُ بِها المَرَايا!

(9)

لِي في مذاهب الصّدق والوفاء انتمَاءٌ
وَلكَ في قواميس الخيانة ألفُ مُصطلحٍ وغدر!

(10)

الأشيَاءُ لَا تَبدُو جَمِيلةً حِينَ ننظُرُ إليهَا بِعينينِ دامعتَين..
لذا لَا تُبكِنِي، لكَي لَا تتَشوّهَ صورَتُكَ فِي عينِي!

(11)

مِن مَنبر الرّجُولة
سَقَطتَ.. ذَات صفعةٍ
وَلَا عزَاء لِذكورتك

(12)

خَبِّئ مَشَاعِركَ تجَاهِي فِي قلبكَ
وَلَا تَبُحْ بِهَا..
فَأَنَا امرأةٌ لَا تَصلحُ للحُبّ!

(13)

تُهمَةُ النقَاء جَرّدَت قلبِي من بياضه
وَوَصَمَت علَى جبِيني عَار البرَاءة فِي زمنِ السوَاد
سَجنَتْنِي خلفَ قُضبان القسوة
وَضَربَت بِمثاليّتي عرضَ الحَائط
هل صَارتْ الطفُولَة ذنبًا؟

(14)

مَا عَاد فِي القلبِ نبضٌ يُحييه
وَمَا عاد البيَاضُ يلفُّ روحًا مسجّاة بِالدماء
وهَالة النقاء التِي كانت تُطوّقه
تلَاشَت وخبا معها وهجُ البرَاءة في عينيّ
ولِصفعةِ الخُبث وقعٌ أشدّ!

(15)

بَعد صفعَةٍ غَادرة
بَكَت سمَائي مَطرًا بِلونِ الدمَاء
غَفَتْ شَمسُ أفرَاحي
وَمَا ابتَسم قَوسُ المطرِ بعدَ ذاك البُكاء!

(16)

أَبكِي قَلبِي،
أُشيّعُ الحُلمَ البرِيءَ
وَأُعلِنُ بَعدَهما الحداد!

(17)

اهمسِي لِي،
اصرُخِي،
فجّرِي صَمتكِ..
حرّرِي الثرثرة المَحبُوسة فِي داخلكِ
خَوفِي أن تَكُون سلَاسلُ الكرَاهية كَبّلتكِ!

وَأسألُنِي..

لِمَ تَخافِينَ الأشبَاح؟

البَشَرُ أَشدُّ رُعبًا!

قُصَاصَاتٌ..

(1)

عرفتُ أشخاصًا يَعِدون ويُخلفون وعُودهم..

وآخرين يَحلفون بِربّ العالمِين كذبًا..

فكيفَ أصدّق أحدًا بعدَ كلّ هذا يَا الله!

(2)

السماء لا تمطر فرحًا

لا تمطر فَرجا

لا تمطر صبرًا

كل الأشياء الجميلة تتفجّر من الداخل!

(3)

الذِين يَتركُوننا علَى مقاعِد الحبّ ويَرحلُون!
نُدركُ أنّهم لَن يعُودوا مِن أجلنَا.. وَأنّهم نَسوا المِيعاد
لكنّنا نَتسمّر فِي أماكننا، نُحدّق إلى الساعَة.. وننتَظر
فَفِي دُستورِ الوفاءِ... الانتظار واجبٌ!

(4)

الدُّموعُ تُغيّرنا؛
قَد نَقسو عَلى مَن عطفنا عليه يومًا،
قَد نَكرَهُ مَن أحبَبناه،
قَد نَهجرُ مَن اختَرناهُ وَطنًا لِقلوبِنَا..
وَقَدْ نَنكَسِر.. قَدْ نَنكَسِر.. قَد نَنكَسِر!

(5)

الكَلِمَاتُ تَتَصادمُ فِي أعماقِي..
أخفِيها عمدًا،
تَخنُقُنِي حُرُوفُ الوَجعِ
تَفَاصِيلي في طَي الكتمان..
وَأشيَاءٌ كَثيرةٌ تَمُوتُ في دَاخِلِي،
وَلا أَحد يَعلم.. ولَا أَحَد يَكتَرِث!

(6)

وَلَأنّني أدرَكتُ – مُتأَخّرَةً – بأنّ لَا أحَد يُنصت، ولا أحد يَفهَم..

اعتَزلتُ الكَلام..

وآثرتُ الصمتَ.. قهرًا!

(7)

بعدَ كلّ خَيبةٍ وكلّ صَدمةٍ وكلّ طَعنة..
أنا لا أسقط، بل أرتفع
خيبَاتِي تزِيدنِي كبرياءً لَا انكسارا!

(8)

حَدِّثنِي عَن الأشياء التِي تَكتمها فِي قلبكَ،
عَن خيباتكَ
عَن آلامكَ
عَن مَخاوِفكَ
وَعَن كلّ مَا تُحاوِلُ إخفَاءه..
حَدِّثنِي عَن جَانبكَ المُظلمِ
وَأعدُكَ بِألّا أغيّر نظرَتِي إليكَ!

(9)

ممتَنّةٌ لِلذين صَفعُوني غدرًا..
وَالذِين أهدَوني الألَمَ
لِمَن شقّ جُرحًا فِي قلبِي
وَمَن ابتَسمَ فرحًا بِحُزني
لِلذين جعَلوني أذرف صَدمتِي بهم دمعًا
وَالذِين أوقعُوني فِي وَحل الثّقة
مُمتَنّةٌ أنَا لِلذِين مَددتُ يَدي وقَلبِي إليهم، فَرَدّوني خَائبَة؛
بِفَضلهم تَعلّمتُ الوقوفَ وَحِيدَةً!

(10)

بَعضُهم يَسرِقُ مِنّا أجمَل مَا فِينا ويَسكبُ عَلَى قُلُوبنا السّواد، وَبعضُهم الآخر يُهدِينا الجَمالَ ذَاته ويُعِيدُ لِقلُوبنا بيَاضها ونقَاءهَا الطُفُولِيّ!

(11)

حَدّثنِي عَن طِيبَة قَلب العَمّ فِيتالِس،
عَن صِدقِ رِيمِي وَ بَرَاءتهَا،
عَن وَفَاءِ مَاتيُو،
عَن اختِفَاء كَاسبر،
عَن انتِهاء مُعانَاة سَالِي
وَ مَوتِ الآنِسَة مِنشن..
حَدِّثنِي عَن وَطَنِيّة هَزِيم الرّعد،
عَن حُبِّه لـ سِيمُونِي،
وَ إخلَاصِه لـ أصدقَائه..

حَدِّثنِي عَن تَفَاصِيل الطّفُولَة
لَعلّ اللّونَ الرّمَادِيّ فِي عَينَيّ يَصِيرُ أبيَضًا
فَأُبصِرَ فِي هذَا العَالمِ جَمَالًا.. لَيس فِيه!

(12)

كُلّ الأشيَاء السيّئَة حَدَثَت حِين أَفرَطتُ فِي التفكِير!

أجِدُ مُتعةً فِي التَفكِير فِي كُلّ شَيء وأيّ شَيء
وَأُواجهُ صعُوبَةً فِي إخمَادِ عَقلِي!

مُؤذٍ هُوَ التفكِيرُ الذِي يَقُودنَا إلى أسئِلَةٍ لَا أجوِبَة لهَا!

فَاتَنِي أن أكُون فَتَاةً عَادِيّة!

أكتُب لأنّ رِئَتين
غَير كَافِيَتَين للتنفُّس!

حين تترَاكم الخيبات على قلبي وتنكسر أدقّ التفاصيل في داخلي،
حين يمتدّ اليأسُ أمامي ويلتفّ من حولي،
وَحين لا أبصر غير الظلام في أُفقي..
ألجأ إلى الكتَابة لِأتخلّص من بعضي وأتجرّد من سَوادي..

لطالمَا بَدت الكتابة أسهل من الكَلام بالنسبَة إليّ،
ففيها من الصّدق ما يُجدّد نقائي..
لم يَكن لُجوئي إليها إلّا تصريحًا بفشلي في الركون إلى الكتمان أكثر..

الكتَابةُ حالةٌ من القُوّة الموسومة بِضعفٍ خَفيّ،
حالةٌ من الضحك بُكاءً ومن الصُّراخ صمتًا..
تَجمعُ ما بين الشيء ونقيضه،
رُبّما لهذَا لَزمتها... لأنّها تُشبهني!

أكتب لأنّ البُكَاء فِي عُرفهم ضعفٌ
وَالضَحك بلَاهة
وَلأنّ البَوحَ فَضِيحَةٌ
أكتُب لأنّني قَارُورَةٌ كُسِرَت لأنّه لَم يَرفِق بهَا أحدٌ
وَلأنّ كَسرِي لَا يَجبره التَناسي
وَلأنّ شَظَايَايَ لَا تَجرَحُ أحدًا سوايَ
أكتُب لأنّ الجِدال عَيبٌ
وَالنِقاش تَمَرّدٌ
وَرَفعُ الصَوتِ عَارٌ
أكتُبُ لأنَّني لَا أُجِيدُ الصراخ،
وَلأنّ للكلماتِ صَوتٌ!

أن أكتب يعنِي أنّني أتنفّس بِصعُوبة
وَأنّ زخمَ الهواء من حَولِي
لا يَكفِيني ولَا يُسعِفُ رِئَتيّ..
أن أكتبَ يعنِي أنّ أورِدَتِي لَا تَنقلُ الأُوكسجِين إلى قلبِي
وَأنّ قلبي لَا يضخّ الدّماء إلى سائر جَسدِي.. بل الوَجع
أن أكتُبَ يَعنِي أنّ هناكَ يدًا خفيّةً مجهُولةً
تَسحبُنِي نحو الأسفَل
وَأنّ سلاسلَ اليأسِ تُقيّدُني
وَتَشدّنِي إلى الحُزن أكثَر
أن أكتُب يَعنِي أنّ الشَرِيط الذِي يُغطّي فَمِي
صَار أكثرَ سُمكًا وأشدّ صلابةً
وَأنّ صَوتِي لَا يَبرَحُ حُنجُرتِي
وَلَا يَمنحُنِي حقّ الصُراخ..

الكِتَابةُ عِلاجٌ فَورِيٌّ لِحالَة الاختناق..
بل هِيَ ضَرُورَةٌ حَتميّةٌ للتنفُّس!

وَلأنّني أحبّ الكتابة،
لا تَستغرِب وُجُودَ قطراتٍ من الحِبرِ تزيّن يَديّ
بَدلًا من طلاء الأظافِر،
وَلا تستغرب أن أنتَظر منكَ إهدائِي كِتابًا أو قلمًا أو دفترًا
بَدلَ قَارُورَة عِطرٍ ثَمِينةٍ أو سَاعةِ يَدٍ ذَهبِيّةٍ
فَأنَا أتعطّر بِالحرفِ،
وَأقِيسُ الزَمن بِالكلمات..
وَلأنّني أحبّ الكتابة،
فَإنني أشدّ إيمانًا بالحرّيةِ
وَمن الصعبِ عليكَ تَقييدي
فَالمرأة التِي تَكتب
تُمارسُ حُرّيتها بالمُطلق
لأنّها تَعلم أكثر من غيرها بأنّها وَحدها صاحبةُ القرار
وَوَحدها مَن تَخُطّ البدَاية وتختَارُ النهاية الأنسَب لها!

أَكتُب..
لأنّ الكِتابَة تَعفِينِي مِن الحدِيث إلى الآخرِين
وَالتعرِّي أمامهم..
ولأنّها الفِعلُ الوَحِيد الذِي لَا أَكُون مُضطرَةً لِتبرِيره!

أَكتُب..
لأنَّني كُلّما تأمّلتُ أبِي
أدرَكتُ أنّ الحياةَ لَا تَمنَحُنا كُلّ مَا نُرِيدُه
وَأنّنَا لَا نَحصُل على ما نَستَحقّ
ولأنَّني كُلّما تأمّلتُ أُمّي
أدرَكتُ أنّ الدُّنيا أقسى مِن أن تَرفق بِقلُوبٍ شَفّافَة
ولأنَّ عَدّادَ العالم لَا يَحتَسبُ طِيبَة القَلب
ولأنّ النوايا البيضاء غَير كَافِيّةٍ فِي مذاهِب البَشَر!

أَكتُب..
لأنّ حاجتِي إلَى تَوثِيق عَثرَاتِي وخَيباتِي
أَكبَر مِن حاجتِي إلَى عَدّ نَجاحاتِي
ولأنّ صُندُوقَ الأمَل لَديّ.. فَارِغٌ إلّا مِن وَهمٍ!

أَكتُب..
لأنّ الأشياءَ مِن حَولِي بَالِغَةُ الصِّغَر
ولأَنَّني كُلّما رَفَعتُ شَخصًا،
تَساقَطَ خَرِيفًا.. وزَيفًا!

أكتُب..
لأنّ الأحلامَ لَا يَجلبُها التَمنِّي
ولأنّ إيمَانِي بِالدُّعاء
يَتلاشَى تدريجًا..

أكتُب..
لأنّني لُقِّنتُ صَغِيرَةً
أنّ مَن يَزرعُ الخَيرَ، يَحصدُ خَيرًا..
وَأدرَكتُ (مُتأخّرَةً) أنّ مَوسِمَ الحصادِ - غَالبًا -.. يَكُون فِي
الآخِرَة!

أَكتُب..
كَي لَا أبكِي، كَي لَا أَصرُخ،
كَي لَا أُمزّقَ ثِيابِي الجَمِيلة،
كَي لَا أقضِمَ أظافِري،
كَي لَا أَخدش وَجهِي،
كَي لَا أضحَكَ بِبلَادةٍ لَيلًا،
كَي لَا أقصّ شَعرِي الطوِيل،
كَي لَا أضعَ السِكّين علَى مِعصَمِي وَ أقطَع أورِدَتِي،
كَي لَا أَبدُوَ مُختَلّةً أمَام العَالم،
أَكتُب..
كَي لَا أُشرِكَ بِجنُوني أحدًا،
وَكَي لَا أكفر.. كَي لَا أكفر.. كَي لَا أكفر!

آخِرُ النَّبْضِ

لَو يَتوقّفُ الزّمنُ لحظةً فقط.. لألتقطَ أنفاسِي، ثُمَّ أوَاصل المَسِير!